الشعر

دموع أحبابٍ وأصحابٍ على فراق السيّد محمد علي الشهاب

رحمه الله تعالى

قصيدة راثية على مَن مناقبه راقية، وهو السيد الكبير، العالم النحريرالسيد محمد علي الشهاب، قدس سره الوهاب. بقلم الفقير إلى الله الغني أبي سهيل أنور عبد الله بن عبد الرحمن الفضفري. (من بحر البسيط)

كيف السلوّ وملء القــلب أحزانُ ومِن تــحرّقها تــنشقّ أذهــانُ

مــاذا ألــمّ بشعب الهند من فزع حارت لذلك بــلــدان وسُــكّانُ

وأيّ كارثــةٍ كرّتْ بــمجــتمــعٍ مِن وقع سطْوتها تــنصاح أبدانُ

عــمّ الظلام على البلدان والبشر صمّ الأنــامُ جــميعا أينما كانوا

والدمع يجري على الخدّين منهطلا كأنما الغــيم أضحى منه فيضانُ

إن الــمنون قضاء الله مــنحتــم فلا يدوم بــوجه الأرض إنسانُ

وهــل يُخلِــّد إنــسانا مــآثــرُه كلاّ فَكلّــهــم تــحــويه أكفانُ

لــكــنْ فراقُ حبيب أوزعيم ورى يكــوي الفؤاد فَتبقّى فيه نيرانُ

يا عاذلي! فِيمَ تجفوني على جَزعي إليك عنّي فما أدراك ما الشانُ!

وما دريتَ بما قــد حلَّ في خلَدي لم تَــكْتحلْ بمنامٍ منه أجفــانُ

قد فاتَــنا السيّد المفضالُ ذو المنن العالِم العَلَم الــمصباحُ يــقظانُ

زعيــمُ أمّــتِــنا ، لــواءُ ملّــتِنا ركنُ السلام وللإحسان بُرهانُ

بدرُ الدجى ومــلاذُ الناس كلّهــم   يرجو مــكارمَــه شيب وشبّانُ
عالي المفاخِر داني اللطْفِ والكرَم   غيثٌ مريءٌ فيروَى منه ظمآنُ
كالبدرطــلْعتُه كالمــسك نفــحته   كالــزهر بَسمتُه بل ذاك بستانُ
كالشمس شهرتُه في العُرْبِ والعَجَم   فَكم مَــلايينَ هُــم حِبٌّ وخُلاّنُ
قد فــاقَ أقــرانَه بالعلم والــعَمل   خِــرّيجُ "أزهر" تــُلْفَى فيه أفنانُ
قد كان مسكنُه "كُــدَبِّــنَكّلُ" مِــن   محــطّ أفــئــدةٍ للناس مــيزانُ
مِن ضارعٍ وكَئِيبٍ رائــمٍ فَــرَجا   أو مَن يقارفُــه ضَــيْم وعُدوانُ
أو حاملٍ قَــلَــقا مِــمّا يَــحيق به   مِن عُقــدةٍ صَعُبت وشَقَّ جَبْرانُ
أو مِن قَضايا لِــجانٍ أو إدارتــها   أو فِي سيَــاستِهم قد ضاق إمكانُ
فَكان رحــبة ســكنــاه كمحكمــة   لــكل مــشكــلة قــد لاح تبيانُ
إذ كان يطلّــع بَيْنَ الوافِــدين لــه   كالــبدر ضاءَ به دُورٌ وجُدرانُ
فَكان يُصْغِي لَهُمْ مِن دون مَسأمَــة   رَحْب الفُؤادِ يَعُمّ القَــومَ رضوانُ
وكَم مُــعانٍ بأســقامٍ يَــكِلّ بــها   أعْــيَتْ أطِــبّا، أتاه وَهْوَ حَيْرانُ
فَمِنْ تَــذَوُّقِ نَــفَحاتِ الفَقيدِ يَرَى   كُلَّ الشفاءِ كأنْ لَم يأتِ نُــقصانُ
لَو كنتَ تُبصرُ شَيَئاً مِــنْ بَشاشَتِه   لَطِبْتَ نَفْسًا ، وَلا تَغْشاكَ أحْزانُ
كَمْ مِنْ مناصبِ خيرٍ للزعيمِ أتَتْ   باهَتْ بِحضْرَتِــه إذ تَــمّ إتْــقانُ
رئيسُ رابطةٍ للمسلــمــينَ، وفِي   شــتّى لِجانٍ لِقَولِ الــقَرْم قَدْ دانوا
شَتَّى مَناطِقَ فِي "مَلْبَار" قد زَهَرتْ   إذْ كانَ قــاضيها فَنِــعْــمَ أزْمانُ
وكَمْ مَراكِــز عِــلْمٍ مِــنْ قِــيادته   حَازتْ مَفاخِرَ فَــانْظُر مِنكَ إمْعانُ
لمْ يَــلْقَ مِــنْ أحَــدٍ ذمّا ولاعُنُفا   حــيًّا وَلا مَيّــتًا إذ ذاك رَيحــانُ
مِنْ آيَــةِ الله فِي بَثّ السلامةِ في   أنْــحاءِ دَولَــتِــنا إذ عَــمّ طُغْيانُ

سَعى لِجَمع شَتَاتِ المُسلمينَ وَهُمْ ... ألْــفَوه ناصِحَهُمْ، وَالــقَولُ فُرْقانُ
قُلْ لِي– بربّكَ– مَنْ هذا الكَريمُ؟فقدْ ... فَــاقَ الأنــامَ ولاوَازاه إنْــسانُ
فَــذاك سَيّدُنا زَعــيمُ مِــلّــتِــنا ... مُحَــمّدٌ بِــعَلِي الشّهابِ عِرفانُ
سبطُ الــرســول، حُسَيْنِيٌّ وَرُتبتُه ... في أربَعِــينَ به قَدْ صحَّ بُرهانُ
آلُ الشهابِ فَهُمْ مِنْ حَضرَمَوتَ أتوا ... لأرض"كَيرلَه"مِنْهُمْ ضاءَ أوْطانُ
وَجَدُّه قَــدْ أتى مُستوطِــنًا فَــرِحًا ... لِــ"بَانَكاد" فَــفِــيها تَــمَّ إسكانُ
فَكانَ أسْرتُه مِــنْ قَــادةٍ كُــرَمــا ... يَسْمُــو بِــبَهْجَــتِهِمْ دينٌ وبُلدانُ
فَجَــدُّه السيّدُ الحُسَيْــنُ قــام على ... ضَيْــمِ البَريطانِي سَيفًا فيه لَمْعانُ
أبوهُ سَيِّــدُنا فُــوكــويَ كان على ... ريــاســةٍ آيــةً فَــجَــلَّ إحْسانُ
وكُلُّ إخْوَتِــه بَــلْ كــلُّ أسْرتِــه ... راقَــتْ مآثِــرُهم لِلــدّين أركانُ
أجَبتَ دَعْوةَ مولاكَ:العشاءَ لِسَبْــ ... ــتٍ عَــشْرَ شَعْبانَ في"تُرْضِيكَ"[1] تِبْــيانُ
لَــمَّــا أُذِيــعَ بِذاكَ النّعْي ثارَ إلى ... لُــقْــيا الجَــنازَةِ خَلْقٌ كَلَّ إعْلانُ
تلك الجنازة في قَلْبِ الــمَدينَةِ أيْ ... "مَــلَبُّرمْ" نُــقِــلَتْ فَــسالَ فَيْضانُ
جَــمٌّ غَــفِيرٌ أتَوا مِــنْ كُلِّ ناحية ... ضاقتْ شَــوارِعُها مِنْهــمْ ومَيْدانُ
هُمْ سَادَةٌ قــادةُ الأحزابِ والزُّعَما ... وَأهْــلُ عِــلْمٍ وأحْبابٌ وإخــوانُ
لم يُلْــفَ قَــطّ بِهِنْدٍ مثلُ جمعهم ... تَشْيِيعُ قَرْمٍ به التاريخَ قَــد زانوا
صلَّوا رسالاً وبَعْد الظهر من أحَدٍ ... آوَوه مَرْقَــدَه ، يَغْــشاه غُــفرانُ
جِوارَوالِــده وأهْــلِــه وأخِــيــ ... ــهِ قُرْبَ جامِــعِهم فَــنِعْمَ جيرانُ
وَ"سَيِّدًا"[2] عَاش، ثــمّ الحقُّ صادَفَه ... فَالله يَــرْحَــمُ إنّ الله رَحْــمَــنُ
والله أخْــلَفَــنا خَــيرًا وآجَرنــا ... فِي ذا البَلاءِ وفَضْلُ الله مِــعْوانُ
يَنْصَبّ عَفْوٌ مِنَ الرحْمَنِ مَرقدَهُم ... ورَحْمَــةٌ وسَلامٌ ثــمَّ رِضْــوانُ
جَزاهُ رَبّي عَنِ الإسلامِ خَيْرَ جَزا ... ثُمّ الصلاة– بِــهــذا تَمّ تِــبْــيانُ

[1] عدد الحروف : (ترضيك) بالحساب الجمل: ١٤٣٠ هـ وهي سنة وفاة الفقيد
[2] عدد الحروف : (سيدا) بالحساب الجمل : ٧٥ وهو عمر الفقيد بالعام الهجري.